

إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة

الأدبية الجزائرية الحديثة

أ. سمير جريدي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريرج

تمهيد:

لم يتوان الاستعمار الفرنسي منذ أن وطئت قدماه أرض الجزائر، لحظة واحدة في استعمال كل الوسائل والطرائق لأجل القضاء على مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية الأصيلة، اللغة العربية والدين الإسلامي، لأنها (المقومات) عامل مهم وباعث كبير في مختلف المقاومات الشعبية التي قامت ضد هذا الاحتلال.

لكن بالمقابل ورغم فشل الانتفاضات خلال القرن التاسع عشر، لم يستسلم الشعب الجزائري بل انتقل إلى نوع آخر من التصدي، تمثل في المقاومة السياسية والمقاومة الفكرية، التي لم تكن تختلف في الهدف عن سابقتها من المقاومات المسلحة، وإن اختلفت عنها في الوسائل التي كانت استجابة للأوضاع الداخلية والخارجية آنذاك.

فلقد شهد الربع الأول من القرن العشرين في الجزائر ظهور حركات متعددة منها ما كان سياسيا كحزب نجم شمال إفريقيا، وحركة الأمير خالد، ومنها ما كان إصلاحيا أدبيا دينيا، مثل: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي كان "لتأسيسها صدى عظيم في تاريخ الجزائر الحديث....[حيث] جعلت وجود الاستعمار الفرنسي في الجزائر في قلق واضطراب، فقد أقلقت مضجعه ونغصت عليه وجوده،...[و] كانت على المشعوذين والدجالين والمتخاذلين الذين كانوا يملؤون الجزائر على ذلك العهد، شهبا محرقة، ونذرا مؤرقة، وأخطارا محدقة"⁽¹⁾.

وقد أسهمت هذه الجمعية بحكم مبادئها وأهدافها التي أنشئت من أجلها في بث الوعي الديني و محاربة الآفات الاجتماعية وعملت على تنقية الدين الإسلامي من الشوائب التي علقت به جراء ما كانت تنشره بعض الطرق

الصوفية، وكان ذلك عن طريق العودة به إلى منابعه الصافية: القرآن الكريم والسنة الشريفة.

وعملت - أيضا - وبشكل فعال على إحياء اللغة العربية وبعث مجدها، وإعادتها إلى عصورها الزاهية، كما كانت عليه في العصور السابقة بدءا من العصر الجاهلي إلى غاية العصر العباسي الذي يمثل المرحلة الذهبية للغة العربية وآدابها.

فكانت نتيجة هذه الجهود أن شهدت الحركة الأدبية الجزائرية نهضة شاملة وحقيقية على يد هذه الجمعية.

وإذا كان الأمر كذلك ، فإننا نحاول أن نبرز إسهامها في ذلك، في هذا البحث المتواضع الذي عنوانه " إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة الأدبية الجزائرية الحديثة". فنقول: إن الأشياء بأضدادها تتمايز، وإصدار الأحكام أمر نسبي يكون بالنسبة إلى معلم معين، و هذا ما نحاول استثماره في قضية إسهام الجمعية في النهضة الأدبية الجزائرية الحديثة، لذلك نود أن نتحدث عن عنصرين اثنين نعتقد أنهما سيوضحان بشكل جلي هذا الإسهام وشكله وحجمه، وهما:

-خصائص الأدب الجزائري قبل ظهور جمعية العلماء،

-خصائص الأدب الجزائري بعد ظهور جمعية العلماء.

1) خصائص الأدب الجزائري قبل ظهور جمعية العلماء المسلمين

الجزائريين:

ويمكن الحديث عن هذا الأدب في هذه الفترة من زاويتين اثنتين، هما:

أ- إهمال الأدب العربي ورواده ، و الاتجاه إلى الأدب الغربي:

وهذا ما يؤكدده و يصفه الشاعر الجزائري عمر بن قدور (1889م-

1931م)، أحد رواد الإصلاح في الجزائر، ممن عايشوا ذلك الواقع بقوله: "...

استلقت الأمم الأخرى عقول شبان الإسلام، واستهوى مجدها ناشئته، ونخبته، فكما ترى رجلا يفتخر بذكرى عالم فرنسي، وآخر يمجّد اسم عالم انجليزي، ترى شابا يرفع عبقريته بأشعار فيكتور "هيجو" والآخر معجب بروايات "شكسبير"، وهكذا لا شغل لتلك الفئة إلا حمد رجال أوروبا و وتمجيد نثرهم وشعرهم واختراعاتهم، ومن المحال أن يخطر في بال أحد ذكر علامة مسلم أو شعر شاعر عربي مفلق" (2).

إن هذا القول لشاعر عايش تلك الفترة يؤكد أن أدباء فرنسا و إنجلترا وشعرائهما هما قدوة الشباب المسلمين في الجزائر يمجّدونهم و يذكرونهم، و أما أدباء العرب فلا أثر لهم عند هؤلاء.

ب - حالة الأدب العربي في الزوايا والكتاتيب والمساجد:

يمكن القول: إن الأدب العربي في هذه الهياكل والشعر منه على وجه الخصوص - لأنه كان يشكل القسم الأكبر - كان امتدادا لعصور الانحطاط والضعف السائدة في الوطن العربي قبل ظهور شعر البارودي، ذلك "إن هذه المراكز التعليمية بوسائلها المحدودة، وثقافتها التقليدية لم تكن مؤهلة لتنهض بالأدب العربي في الجزائر ولو أنها ساعدت على بقاء اللغة العربية، فمن طبيعة أية نهضة أدبية أن تسبق بنهضة ثقافية تمهد لها وتسندها، وتكون لها بمثابة القاعدة الصلبة التي تنطلق منها" (3)، وقد انحصر الشعر نتيجة ارتباطه وتعلقه بتلك المؤسسات في "الأغراض الدينية فتشابهت نصوصه، فإذا هي من لون واحد، وإذا هي في الأغلب الأعم تتجه إلى مدح المشايخ والكبراء والتعني بآثار الرسول صلى الله عليه وسلم وآل البيت، وغيرها من الموضوعات التي لا تخرج عن هذا النطاق الصوفي الديني إلى حد جعلت الشعر الديني النافذة الوحيدة التي بقيت للأدب العربي في الجزائر يتنفس منها" (4)، وإن وجدت بعض القصائد التي تخرج عن هذا النطاق الصوفي المهيمن والمسيطر، فهي "لا

تتجاوز الغزل التقليدي المتكلف والفخر القائم على التباهي بالأجداد والأنساب والتذمر من العصر وأهله، بطريقة متهافئة ضعيفة، إلى جانب المجاملات والإخوانيات مثل التهئة بمولود أو ترقية...، بل إن هذا الشعر ليتردى إلى مدح الحكام الفرنسيين بطريقة فيها نفاق وتملق، بأسلوب قريب من العامية لا أثر للشاعرية فيه⁽⁵⁾.

وما يلاحظ على هذا الشعر هو أن "أغراضه تافهة لا يضطرب معها العقل ولا يطير، محلقا معها في سماء الخيال والشعور، وكانت المعاني في أغلب الأحيان مبتذلة ركيكة منحطة تزحف كالسحفاة"⁽⁶⁾.

إذن فهو في مضامينه ضعيف لا علاقة له - أحيانا - بقضايا الأمة، بل هو شعر متكلف مصطنع يغلب عليه مدح التكسب والتملق لتحقيق منافع شخصية ضيقة ذاتية.

ولم يتميز هذا الشعر بالضعف والتقليد والتكلف في أغراضه فحسب، بل كان الضعف كذلك في طرائق التعبير عن هذه المضامين، يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عن ذلك: "وقد اطلعنا على أكثرها فإذا هي أخت الأشعار الملحونة الرائجة في السوق، لأنها منقطعة الصلة بالشعر في أعاريضه وأضره، ومنقطعة الصلة بالعربية في ألفاظها ومعانيها، ومنقطعة الصلة بالخيال في تصرفه واختراعه"⁽⁷⁾.

تلك - إذن - حالة الأدب العربي - وخصوصا الشعر منه - في الجزائر قبل ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: إما هجر له وتنكر له، وإما تأليف فيه، ولكن بتكليف وتصنع وضعف ظاهر.

2- خصائص الأدب العربي الجزائري بعد ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

لما ظهرت الجمعية، انطلقت - هيئة وأفرادا - تعمل وتسابق الزمن لتحقيق أهدافها (تنقية الدين الإسلامي من الشوائب وإحياء مجد اللغة العربية)، فبدأت بؤادر النهضة الأدبية الجزائرية في الظهور والتبلور إلى استقامت واشتد ساعدها طوال فترة نشاط الجمعية التي امتدت لأكثر من ربع قرن. وأما مظاهر هذه النهضة فقد تجلت وظهرت في خصائص الأعمال الأدبية ومستواها المختلف عما كان سائدا، وعما ذكرناه قبل قليل، ويكفي للتدليل على ذلك أن نذكر خصائص أدب عضوين من أعضاء جمعية العلماء المسلمين:

الأول: شاعرا وهو محمد العيد آل خليفة، والآخر كاتباً وهو محمد البشير الإبراهيمي، فأما الأول فهو حسن الحركة الإصلاحية، الذي انتقل بالشعر من وظيفة التكسب والتملق إلى جعله أداة ووسيلة فعالة في نوعية الشعب دينيا ووطنيا، وخدمته والرقى به، إذ يقول:

جعلت الشعر في الدنيا نجيباً فكان لخاطري كالترجمان

ولم أكف عن استنهاض شعبي به لأراه في أعلى مكان⁽⁸⁾

وإذا كان الشعر قبل ظهور الجمعية في أغلبه كما ذكرنا من الانحطاط والضعف أسلوبا ولغة وطرائق تعبير، فإن محمد العيد" شاعر مستكمل الأدوات، خصب الذهن، رجب الخيال، متسع جوانب الفكر... مشرق الديباجة، متين التركيب فحل الأسلوب، فخم الألفاظ، محكم النسج ملتحمة، مترقق القوافي، لبق في تصريف الألفاظ و تنزيلها في مواضعها، بصير بدقائق استعمالات البلغاء محقق في مفردات اللغة علما و عملا ... بارع الصنعة في الجنس والطباق و إرسال المثل...⁽⁹⁾، وهذا ما جعل الأمير شكيب أرسلان

يصرح : " كان يُظن أن القطر الجزائري تأخر عن إخوته سائر الأقطار العربية في ميدان الأدب ولاسيما الشعر ولعله بعد الآن سيعوض الفرق، بل يسبق غيره بمحمد العيد"⁽¹⁰⁾ والواضح أن كلام الأمير لم يكن مجاملة، بل هو صادر عن قناعة لأنه -كما قال- يقرأ قصائد محمد العيد مرتين أو ثلاث دون ملل.

وأما الآخر فهو الكاتب محمد البشير الإبراهيمي، نائب رئيس جمعية العلماء، ثم رئيسها بعد وفاة عبد الحميد بن باديس، الذي يقول عنه الشيخ عبد الرحمان شيبان - رحمه الله - : "[كان] إماما في العربية وبلاغتها، تفقه في أسرارها وتغذى بآدابها، واستتار بقرآنها، وكان خطيبا مصقعا، يهز القلوب ببيان ساحر، يعيد للأذهان ما كان للعربية من سلطان في عهد قس بن ساعدة وسحبان، كان محدثا بارعا، لطيفا يغمر مجالسه بالحكمة، ويجملها بالنكتة، ويعطرها بأريج ينعش الأرواح و العقول ...، وأما أسلوبه في الكتابة فهو جاحظ عصره، و بديع زمانه، مما جعله بحق، معجزة من معجزات الثقافة العربية الإسلامية في القرن العشرين"⁽¹¹⁾، ليس في الجزائر فحسب، و لكن في كل مكان بلغته لغة الضاد.

ومن مظاهر النهضة الأدبية الجزائرية في عهد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - أيضا-، نذكر :

-المساهمة في ظهو رثوة أدبية كبيرة تمثلت في نشر فني جميل وشعر راق، وذلك خلال فترة نشاطها، ويكفي أن نشير إلى أن أغلب هؤلاء الذين ساهموا في إنتاج تلك الثروة الأدبية كانوا على علاقة بجمعية العلماء إما: انتسابا مثل : الإبراهيمي وابن باديس، أحمد سحنون، ومحمد الشبوكي...، وإما دراسة على يد رئيسها مثل الشعراء: الربيع بوشامة وعبد الكريم العقون وموسى نويوات الأحدي...، وإما كتابة ونشرا في صحفها مثل: أحمد رضا حوحو وأبو

القاسم سعد الله، ومحمد الصالح رمضان وباعزيز بن عمر ... الذين كانوا ينشرون في جريدة البصائر.

- الانتقال من الاعتزاز بأدباء أوربا من أمثال شكسبير وفكتور هيجو إلى الاعتزاز بأدباء العرب وشعرائهم والتفاخر بأعمالهم وإسهاماتهم في خدمة اللغة العربية والإشادة بدورهم في النهضة الأدبية العربية، ولعل خير دليل على ما ذهبنا إليه هو أن نذكر قصائد محمد العيد آل خليفة في رثاء حافظ إبراهيم وأحمد شوقي ومعروف الرصافي ...

وكانت هذه العناصر السابقة أهم تجليات النهضة الأدبية الجزائرية الحديثة، وقد أسهمت فيها كما ذكرنا من قبل جمعية العلماء بشكل أساسي وفاعل، وأما كيفية الإسهام ووسائله في تحقيق هذه النهضة، فهذا ما سنتحدث عنه تحت إطار العنوان الموالي.

وسائل الجمعية في تحقيق النهضة الأدبية الجزائرية الحديثة:

1. الابتعاد بالأدباء (كتابا وشعراء) عن الموضوعات و الأغراض السابقة المتكلفة التي لا علاقة لها - في مجملها - بواقع الأمة الجزائرية آنذاك والتي تصب في مدح الفرنسيين و حضارتهم، والانتقال بهم إلى مواضيع تتماشى مع أهدافها وتوجهاتها في محاربة الخرافات والبدع التي تقشت نتيجة ما تنتشره بعض الطرق الصوفية المنحرفة من تصوف عقيم من جهة، والآفات الاجتماعية الأخرى المنتشرة من جهة أخرى، فانتقلت وظيفة الشعر مثلا من التملق والتكسب في المدح والافتخار بالأنساب إلى الوعظ والإرشاد والإصلاح والتربية ومحاربة الآفات الاجتماعية، واستنهاض الهمم...

وكان من شعراء الجمعية في هذا المجال: محمد العيد آل خليفة، وأحمد سحنون... وكان في النثر محمد الشبوكي والإبراهيمي وباعزيز بن عمر وغيرهم.

فنهضة الأدب لا تقتصر على الشكل فحسب، بل تمتد إلى المضمون أيضا، وإلى جانب المواضيع السابقة فقد كان -أيضا- الاهتمام بالقضايا الوطنية كحوادث ثامن ماي، والقضية الفلسطينية، والاعتزاز بشعراء مدرسة الإحياء في المشرق العربي.

وخلاصة هذه الوسيلة هو أن التغير في المواضيع المتناولة من قبل الأدباء على النحو الواضح سابقا، نتج بكل تأكيد عن الأهداف المحددة والغايات المسطرة من وراء تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي حددت خلال مؤتمرها التأسيسي خلال ماي 1931م.

2. تأسيس الصحف والمجلات سواء أكانت تابعة للجمعية أم لأحد أعضائها، ومن هذه الصحف نذكر:

أ. **جريدة المنتقد**: التي أسسها عبد الحميد بن باديس سنة 1925م، "التي كانت تعتبر بمثابة النادي الثقافي والأدبي الذي تجمعت فيه ألقام الشباب كتابا وشعراء، فإليها يرجع الفضل في احتضان (الأدب الناهض) كما كانت تسميه وإطلاع الأدباء الجزائريين على ما يجد في عالم الأدب العربي من إنتاج جديد"⁽¹²⁾، وعنها يقول مؤسسها ابن باديس: «... الحقيقة التي يعلمها كل أحد ، أن هذه الحركة الأدبية، ظهرت واضحة من يوم أن برزت جريدة "المنتقد" المعطلة بقرار وزيري فمن يوم ذاك عرفت الجزائر من أبنائها كتابا وشعراء ما كانت تعرفهم من قبل»⁽¹³⁾، فدور هذه الجريدة هو أنها شجعت الأدباء الجزائريين ورعتهم ووجهتهم وأطلعتهم على ما يجَد في المشرق العربي من أعمال أدبية ، لكي يحاكوها وينسجوا على منوالها، وهذا ما يشجع على بعث النهضة الأدبية الجزائرية الحديثة.

ب . **جريدة البصائر**: السلسلة الأولى (1935م . 1939م) التي أصدرتها الجمعية وأسندت تحريرها أولى الأمر إلى الطيب العقبي ، الذي تولى عنها

سنة 1937م وخلفه مبارك الميلي سنة 1937م إلى خريف 1939م، حيث توقفت عن الصدور من تلقاء نفسها بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية.

ج . جريدة البصائر: السلسلة الثانية (1947م - 1956م) م، التي أصدرتها جمعية العلماء - أيضا - وتعد هذه الجريدة من أرقى الصحف الجزائرية قبل الاستقلال.

وقد ساهمت هاتان الجريدتان بشكل كبير في إتاحة منبر للأدباء الجزائريين، ينشرون فيه أعمالهم الأدبية، إذ لا يكاد عدد من أعدادهما يخلو من قصيدة أو مقال أو خطبة أو رسالة. ولم تكن تنتشران أي شيء فحسب، بل كانتا تختاران أحسن الأعمال الأدبية، وهذا مما يشجع الأدباء على التنافس وتحسين أعمالهم وتجويدها، وهذا ما يؤدي بدوره إلى رفع مستوى النصوص الأدبية المنشورة، وهو ما يعد تطورا للأدب ونهوضا به، فهذا الشيخ فرحات الدراجي أحد رجالات الإصلاح يقول: "فواجبها (الجمعية) أن تذيب البلاغة العربية والبيان العربي، وتعمل على نشرهما في كتاباتها وصحفها ومنشوراتها، ولا تثريب عليها إن هي أصدرت جريدتها بلسان عربي مبين" (14).

وهذا الشيخ الإبراهيمي رئيس تحرير البصائر في سلسلتها الثانية : " بما أوتي من أسلوب أدبي راق وإطلاع واسع على أسرار اللغة العربية و آدابها قد استطاع أن يسم جريدة البصائر في الأربعينات و الخمسينات سمة مميزة أفردتها من بين الصحف العربية الجزائرية الأخرى، حين قصد أن يجعلها معرضا راقيا للغة العربية في الألفاظ والمعاني والأساليب، ومجلى للفصاحة والبلاغة في نمطها العالي ، وهو يقصد من وراء ذلك إلى أن تكون جريدة جمعية العلماء مثالا يحتذيه الطلاب كتابا و شعراء" (15) .

إن مثل هذه العناية وهذا التجويد لهو حافظ و دافع قوي ، وإن كان غير مباشر للأدباء الجزائريين لتحسين أعمالهم الأدبية وتجويدها، وبالتالي المساهمة في بناء نهضة أدبية جزائرية حديثة لا تقل مكانة وشأنا عنها بالمشرق العربي.

د . جريدة الشهاب (1925م . 1939م) التي أسسها عبد الحميد بن باديس:

والتي احتضنت الأقلام الأدبية و نشرت لها و شجعتها.

هذا، ونلفت النظر إلى أننا قصدنا هنا إلى ذكر بعض الصحف للتمثيل لا للحصر، إن اخترنا ما بدا لنا أنه أفضلها، وأما الحديث عنها بالتفصيل فذلك أمر يتطلب بحثا مستقلا.⁽¹⁶⁾

3. تأسيس المدارس الحرة:

لقد اعتمدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . في تحقيقي أهدافها التي أنشئت من أجلها. على تأسيس المدارس العربية الحرة مثل: مدرسة التربية والتعليم في قسنطينة ،دار الحديث في تلمسان، مدرسة تهذيب البنين والبنات والحياة بتبسة مدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر العاصمة، مدرسة التربية والتعليم ببسكرة، وغيرها من المدارس العربية التي لم تخضع للاستعمار سواء في البرامج أو التمويل أو الإشراف.

ولهذه المدارس دور في تحقيق النهضة الأدبية الجزائرية الحديثة ففيها أصبحت " اللغة العربية تُدرس بكيفية تؤدي إلى تحصيل الملكة القيمة و الذوق الصحيح ، وتنتج لنا هذه المدارس شعراء وكتّابا وخطباء، وأصبح الشعر والكتابة والخطابة أدوات تقدم ووسائل حياة لهذه الأمة"⁽¹⁷⁾، كما كانت تدرّس القرآن الكريم، حيث يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس "إننا والحمد لله نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم ونوجه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم، وغايتنا التي ستتحقق أن يُكوّن القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم"⁽¹⁸⁾،و لقد كان لتدريس القرآن الكريم في مدارس الجمعية الأثر الواضح، ف" هذه العناية بالقرآن الكريم

تركت بصمات واضحة في أساليب الكتابة لدى الكتاب الإصلاحيين الشعراء منهم والكتاب على حد سواء، فقد طبعتها بطابع القوة والمتانة وأكسبتها جزالة في التعبير وأسرا في التركيب... ونلمس أثر القرآن في الشعر الجزائري بصفة جلية في التعبير والتصوير معا...⁽¹⁹⁾، وفي المضامين أيضا.

وهكذا، فإن ما كان يُدرّس في مدارس جمعية العلماء وكيفية تدريسه قد قام بدور كبير في تحقيق نهضة الأدب العربي الحديث في الجزائر والرقى به.

4. التوجيه والنصح للأدباء المبتدئين :

كثيرا ما كان الشيخ عبد الحميد بن باديس يوجه الأدباء المبتدئين إلى دراسة المصادر التي كانت تعرف "بالأمهات" في الأدب العربي مثل : الأغاني ، والعقد الفريد، طالبا منهم أن يعيدوا مطالعتها المرة بعد المرة.⁽²⁰⁾

وهذا محمد البشير الإبراهيمي الرئيس الثاني لجمعية العلماء ورئيس تحرير جريدة البصائر في سلسلتها الثانية يحث الأدباء الشباب على " أن يدمنوا القراءة لآثار فحول الكتاب من قدماء و محدثين ، وأن يحملوا أقلامهم على احتذائها بالتدريج وأن يتكثروا بحفظ اللغة الأدبية ويتبصروا مواقع استعمالها في التركيب" ⁽²¹⁾.

ولا شك في أن مثل هذا التوجيه من قبل رئيسي الجمعية ، وغيرهما من أعضائها، سيؤتي ثماره، متجسدا في رقي مستوى الأنواع الأدبية المؤلفة . شعرا ونثرا .، هذا إذا ما أضفنا إلى هذا الإرشاد تلك الشروط الصارمة التي كانت تفرض على الأعمال الأدبية كي تنشر في جريدة البصائر. في سلسلتها الثانية . لسان حال الجمعية.

5. إتاحة الفرصة للأدباء لإبراز قدراتهم الإبداعية من خلال تنظيم الملتقيات ومختلف النشاطات الثقافية :

كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تنظم حفلات و نشاطات مختلفة في نهاية المواسم الدراسية أو خلال افتتاح مدارسها، أو المتعلقة باجتماع مجلسها الإداري قصد تجديده، أو تدارس مختلف القضايا، ونذكر بعض هذه النشاطات للتمثيل :

الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف الذي أقامته جمعية الشبيبة الإسلامية بنادي الترقى، حيث أُلّف بهذه المناسبة محمد العيد آل خليفة قصيدة أنشدت في هذا الاحتفال⁽²²⁾، وكذلك الاحتفال العظيم بافتتاح مدرسة دار الحديث في تلمسان وكان الاحتفال مشهورا ، حضره أعضاء جمعية العلماء كلهم وجميع الهيئات العاملة في الجمعية من مدرسين وشعب وتمثلت فيه جمعية العلماء بصورتها الحقيقية، وقدراتها الإنشائية ، وحضرها نحو عشرين ألفا من أتباعها، وفود من تونس ومراكش وذلك في خريف 1937م، وقد ألقى بهذه المناسبة العظيمة محمد العيد قصيدة "تحية دار الحديث" التي تجاوز عدد أبياتها ثمانية وأربعين بيتا⁽²³⁾، وحفل ختم درس كتاب "القطر" لابن هشام سنة 1938م، حيث ألقى محمد العيد قصيدة "يا معشر الطلاب"⁽²⁴⁾، ومأدبة الاجتماع السنوي العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1934م، التي ألقى فيها محمد العيد قصيدة "أيها السامر"⁽²⁵⁾، ومناسبة ختم ابن باديس لتفسير كتاب الله التي ألقى فيها شاعر الجزائر الفتاة محمد العيد آل خليفة قصيدة رائعة جميلة عنوانها "ختمت كتاب الله"⁽²⁶⁾، نذكر منها بعض الأبيات التي يقول فيها مخاطبا ابن باديس :

بمثلك تعزّز البلاد وتفخر وتزهّر بالعلم المنير تزخّر

طبعت على العلم النفوس نواشئا بمخبر صدق لا يدانيه مخبر⁽²⁷⁾

ولا يسعنا المجال هنا لذكر كل هذه النشاطات والحفلات والاجتماعات، إنما نكتفي بما سبق الإشارة إليه، والواضح أن مثل هذه المناسبات قد ساهمت في الرقي بالأدب الجزائري ذلك أنها محفز نفسي ودافع قوي على الإبداع الذي له علاقة بمضمونها كما أنها (المناسبات) دافع كبير لتجويد الأعمال إذا ما علمنا أن بعض تلك الاجتماعات كانت تحضرها بعض الشخصيات الأدبية المرموقة، كما سبقت الإشارة إلى الحضور المميز من تونس والمغرب في مدرسة دار الحديث بتلمسان، وأن الإلقاء أمام هؤلاء دافع لتجويد الأعمال الأدبية وتحسينها، كما أن هذه النشاطات تتيح الفرصة للأدباء للالتقاء ببعضهم وتبادل وجهات النظر والآراء التي لاشك أنها ستعود بالنفع على الإبداع وتحسين مستواه .

وقد يلاحظ أننا قصرنا جمعية العلماء على أديبين كبيرين هما محمد العيد آل خليفة شاعرا، ومحمد البشير الإبراهيمي ناثرا، فنقول: إن جمعية العلماء قد مثلها أدباء كثر: شعراء وكتّابا، نذكر منهم: أحمد سحنون ، محمد الأخضر السائحي محمد الشبوكي، موسى نويوات الأحمدى، عبد الكريم العقون، الربيع بوشامة، باعزیز بن عمر، عبد الحميد بن باديس وغيرهم.

غير أننا نحن ركزنا على الإبراهيمي وآل خليفة لكونهما معروفين من قبل شريحة واسعة من الجزائريين، ولكون أعمالهما قد جُمعت وأُدمجت في المنظومة التربوية، ومن جهة أخرى، فإن بعض الأدباء الآخرين لم يحظو بدراسات كثيرة على غرار الإبراهيمي وآل خليفة.

والحق يقال: إن أدباء جمعية العلماء كثر، وما يشجع على البحث فيهم هو أن المصادر الأساسية لأدبهم قد طبع بعضها من مثل البصائر التي طبعت كاملة من قبل دار الغرب الإسلامي، وكذلك الشهاب ، والسنة والشرعية والصرط، فالعودة إلى هذه المصادر وغيرها كفيل بإخراج كل الأدباء وجمع

أعمالهم وتصنيفها وطبعها وإخراجها إلى الوجود وتعريف الناشئة بها حتى يغدو هؤلاء على قدر من المعرفة والذوق مثل أديبينا محمد العيد والإبراهيمي، ولا ننسى هنا أن ننوه بمسؤول دار الغرب الإسلامي الشيخ الحبيب اللمسي على دوره في طبع جرائد جمعية العلماء في حلل أنيقة جميلة.

خاتمة:

هذه لمحات وومضات وإشارات مختصرة من مساهمات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة الأدبية الجزائرية الحديثة، والوسائل التي اعتمدتها وأنتهجتها في تحقيق ذلك، ولا نزعم أننا أحطنا بها من كل الجوانب، تفصيلا وتعليلا وشرحاً، وإنما نحسب ذلك مساهمة متواضعة في إنارة قضية وتسليط الأضواء عليها بالإثراء والإضافة، ذلك أن الإحاطة تتطلب تمرساً وتمرناً أكثر ومادة أدبية ونقدية أوفر وأثري، إنما الهدف هو الرغبة في توضيح قضية من القضايا التي شغلت جمعية العلماء الجزائريين، والتي لم تكن غاية في حد ذاتها، بل كانت تمهيدا لهدف أسمى وأنبأ ألا وهو تحقيق الاستقلال الوطني، ذلك أن نهضة الأدب تجلت في مواضيعه التي كانت بشكل أو بآخر تهيئة للجزائريين للثورة على الاستعمار الفرنسي وهو ما تحقق بمساهمة السياسيين من حزب الشعب الجزائري.

وأما نتائج هذا البحث، فهي:

لقد تميز الأدب الجزائري خلال القرن التاسع عشر المصادف للاحتلال الفرنسي البغيض بالضعف والركاكة والجمود والتقليد شكلاً ومضموناً، فكان امتداداً لعصر الانحطاط في الوطن العربي، وما زاد الأمر سوءاً الاستعمار الفرنسي بإجراءاته التعسفية، ولا ننفي أن تكون هناك محاولات، ولكنها محصورة، تمثلت في شعر الأمير عبد القادر الجزائري الذي كان استثناء لما هو سائد آنذاك، حيث إن مواضيعه كانت لها في المجمل صلة بأوضاع

الجزائريين آنذاك، حيث كان شعره وصفاً وافتخاراً بانتصاراته على الاستعمار، ويمكن القول: إن الأمير عبد القادر الجزائري يوازي أو يقابل محمود سامي البارودي في المشرق العربي، واستمر الحال كذلك حتى ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الربع الأول من القرن العشرين، حيث شهد الأدب الجزائري على يديها نهضة شاملة واضحة، وإن لم يخل من بعض بقايا الضعف السابقة تمثلت وتجسدت في مستوى الأعمال الأدبية المختلفة عن السابق في الشعر والنثر.

ومثلنا لذلك بالشاعر محمد العيد آل خليفة، والكاتب محمد البشير الإبراهيمي، حيث كان الأول يمثل البهاء زهيراً، والآخر فهو جاحظ عصره وبديع زمانه ومفخرة الثقافة العربية الإسلامية، فالمواضيع تغيرت، والأسلوب الأدبي ارتقى وابتعد عن الضعف والتكلف.

وكانت للجمعية وسائل عدة في تحقيق هذه النهضة، كتحديد المواضيع، والتوجيه والإرشاد، وإنشاء المدارس الحرة، وإنشاء الصحافة والنشر فيها، وإتاحة الفرصة للأدباء لإلقاء أعمالهم في الملتقيات التي تنظمها، على النحو الذي سبق توضيحه في ثنايا هذا البحث.

الهوامش:

- (1)- عبد المالك، مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص: 03.
- (2)- محمد، ناصر: الشعر الجزائري الحديث (1925 - 1975) اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 2006 م، ص: 17.
- (3)- المرجع نفسه، ص، 18.
- (4)- المرجع السابق، محمد ناصر، ص، 19.
- (5)- المرجع نفسه، ص ن.
- (6)- المرجع نفسه، 20

- (7)- محمد البشير الإبراهيمي: مجلة الشهاب، 1 جمادى الأولى 1435 هـ، الموافق لـ 12 أوت 1934م، قسنطينة، الجزائر، المجلد 10، الجزء 9، ص 390.
- (8)- محمد العيد، آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط 2، 1979م، ص: 03.
- (9)- من مقدمته لديوان محمد العيد آل خليفة، ص ص: ط.ي.
- (10)- المصدر نفسه، ص: و. من مقدمته لديوان محمد العيد آل خليفة، ص ص: ط.ي.
- (11)- عبد الرحمان، شيبان: الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي و اللغة العربية، مجلة الثقافة، الجزائر، عدد 87، ماي، جوان 1985م، ص: 73.
- (12)- محمد، ناصر: الشعر الجزائري الحديث (1925 - 1975) اتجاهاته و خصائصه الفنية، ص: 29.
- (13)- عبد الحميد، بن باديس: مجلة الشهاب، المطبعة العربية الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، فيفري 1936م، المجلد السادس، الجزء الأول، ص: 30.
- (14)- فرحات الدراجي: البيان العربي في الجزائر، جريدة البصائر، عدد 3، الجزائر، ص: 05.
- (15)- محمد، ناصر: الشعر الجزائري الحديث (1925 - 1975) اتجاهاته و خصائصه الفنية، ص: 50.
- (16)- يراجع، محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية (1847م. 1939م) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، لجزائر، 1980م.
- (17)- محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الشهاب، المجلد 10، الجزء 9، أوت 1934م، ص: 391.
- (18)- عبد الحميد، بن باديس: مجلة الشهاب، العدد الخاص بالتفسير، جوان/ جويلية 1938م ص: 167.
- (19)- محمد، ناصر: الشعر الجزائري الحديث (1925 - 1975) اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص: 44.
- (20)- المرجع نفسه، ص: 47.
- (21)- محمد البشير الإبراهيمي: جريدة البصائر، الجزائر، العدد 36، 11 جويلية 1949م.
- (22)- محمد العيد، آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، ص: من 75 إلى 78.

- (23) - المصدر السابق، محمد العيد، آل خليفة، ص: من 79 إلى 82.
- (24) - المصدر نفسه، ص: من 89 إلى 91.
- (25) - المصدر نفسه، ص: 115، 116.
- (26) - المصدر نفسه، ص: من 156 إلى 161.
- (27) - المصدر نفسه، ص: 156.

